ورفعوه فوق جميع الاشياء (١٦) ، وقد انقلب هذا الحس التاريخي الذي نما وترعرع في بوتقة الفكر الرومنسي خلال القرن التاسع عشر ، وكان من مكتسباته التقدمية ، انقلاب في مفهوم الرومنسية الرجعية في اواخر القرن لتبني نماذج العصور الوسطى ، او ما هو اقدم منها ، كمثال اعلى للتنظيم الاجتماعي فيوتوبيا خيالية يسكن اليها معذبو الارض ويلجأون اليها من جحيم الحاضر :

هردر ، فختة ، شليجل ، شوبنهور ، نيتشة ، شبنغلر ٠

ولكي تفهم مأساة العصر ، مأساة الفكر القومي الذي يبدأ من الثورية ، ودعوات الانبعاث القومي ، والاعتزاز بالشخصية القومية مجسدة في اللغة والتراث والطوابع القومية والتاريخ القومي ، ثم ينحدر ويسير في طريق الانحطاط حتى ينقلب في اخريات العصر الى اشكال التعصب وضيق الافق القومي ، ومعاني التفرد والاستعلاء العرقي والردة الى جوف التاريخ ، لكي نفهم مسار القومية من الصحوة والبعث ، حتى انهار الدم في حربين عالميتين على يد القوميين المتهوسين ، ثم الفاشيين والنازيين ومن بعدهم ورثتهم من الصهيونيين ، لا بد ان نتتبع حركة الفكر القومي الرومنسي حتى يسقط في يد الطبقات الرجعية والاستعمارية الامبريالية في اخريات القرن التاسع عشر لنستخرج اكثر عناصره سوءا ودناءة وتخلفا ، وقد اختلطت في هذا الفكر منذ البداية كما رأينا جوانبه الثورية والرجعية التقدمية والمتخلفة ولا يتسع المجال سوى لعجالة ولمحات خاطفة ٠

ونبدأ بهردر (١٧) فقد كان من رواد الفكر الرومنسي مثل روسو ، وظل مخلصا للمبادىء الاخلاقية الجوهرية للاستنارة ، وكان هو البادىء بالاهتمام الحماسي « بروح الشعب » كما تعبر عنها اللغة والشعر والفن والتقاليد ٠ وقد اشاد بصفة خاصة بالتراث الثقافي العظيم للشعب الالماني ، وكان يتوق لاحياء مجده في ميادين الادب والفن والعلم ، وكانت عواطفه مع الامة التي رأى فيها نموا طبيعيا مثل العائلة ، وكان يعتقد ان كل شعب مهما كان صغيرا ومتخلفا يحمل شعلة مقدسة من الجمال والحرية (١٨) ٠

وقد انكب على دراسة الاساطير الشعبية واشعار القدماء واغاني الحب واهازيج الحرب واغاني البحار من الشعوب الشمالية في فنلنده والنرويج حتى بحار الجنوب ، ثم اصدر مؤلفه في الادب الالماني الجديد سنة ١٧٦٧ ، نحا فيه منحى جديدا فلم يقتصر نقده الادبي على المقاييس الفنية وحدها ، بل حاول فهم الروح التي تتجلى في كتابات الادباء الالمان ، بحثا عن عبقرية الامة ، والعوامل التي تتضافر في تكوين وانماء عبقرية الشعوب (١٩) ٠

وقد توفر بعد ذلك على دراسة الكتاب المقدس ، وتاريخ الشرق القديم ،